

## كيفية تحليل البنية العميقـة

### للنص الأدبـي

#### في ضوء المنهج السيمـائي

الأستاذ : بومعزـة رابح

قسم الأدب العربي

كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والإنسانية

جامعة محمد خضر - بسكرة -

تمهـيد: البنـوية أو الوصـفـية .

منـى في الـدراسـات اللـسانـية الـحدـيثـة يـقـوم بـدرـاسـة الـلـغـة وـوـصـفـها مـسـتـبـدا التـعلـيل وـالـعـودـة إـلـى الـبـنـية الـعـمـيقـة فـي تـحلـيل الـظـاهـرـة الـلـغـوـيـة . وـهـذـا الـمـنـهـج يـنـظـر إـلـى الصـور الـلـفـظـيـة الـمـخـتـلـفة الـتـي تـعـرـضـها لـغـة منـالـلـغـات ، ثـم يـصـفـها عـلـى أـسـس مـعـيـنة ، ثـم تـصـنـفـ العـلـائق النـاشـئـة بـيـن الـكـلـمـات وـصـفـا مـوـضـعـيا<sup>(1)</sup>.

وـإـذـا كـانـتـ السـيـمـائـيـاتـ منـهـجاـ نـقـديـاـ مـعاـصـراـ لـهـ جـذـورـهـ الضـارـبةـ فـيـ أـعـماـقـ التـرـاثـ

الـعـربـيـ(2) وـالـغـربـيـ، فـإـنـ مـناـهـجـ التـحلـيلـ السـيـمـائـيـ لـلـنـصـوصـ الـأـدـبـيـةـ فـيـ الـغـربـ قدـ تـعـدـدـتـ . وـكـانـتـ هـنـاكـ مـحاـلـوـاتـ فـيـ النـقـدـ الـعـربـيـ الـمـعاـصـرـ أـفـادـتـ مـنـ هـذـهـ الـمـنـاهـجـ، وـحاـولـتـ تـطـبـيقـهاـ عـلـىـ أـدـبـنـاـ الـعـربـيـ الـمـعاـصـرـ فـيـ الشـعـرـ وـالـنـثـرـ . وـسـقـصـرـ مـداـخـلتـاـ هـذـهـ عـلـىـ الـوقـوفـ عـلـىـ مـنـهـجـيـنـ اـثـنـيـنـ مـنـهـاـ .

الـمـنـهـجـ الـأـوـلـ: وـيـمـثـلـهـ الـلـسـانـيـاتـ الشـهـيرـ "ـ دـيـ سـوـسـيرـ"ـ وـمـنـ شـيـعـتـهـ الشـكـلـانـيـونـ الـرـوـسـ . وـهـذـاـ الـاتـجـاهـ اـعـتـمـدـ الـلـسـانـيـاتـ ظـاهـرـةـ إـشـارـيـةـ وـاجـتمـاعـيـةـ مـغـلـقةـ .

وـالـمـنـهـجـ الـثـانـيـ: فـارـسـهـ النـاقـدـ الـحـدـاثـيـ الـفـرـنـسـيـ "ـ روـلانـ بـارـثـ"ـ الـقـائمـ مـنـهـجـهـ فـيـ التـحلـيلـ السـيـمـائـيـ عـلـىـ الـوـقـوفـ عـنـ مـسـتـوـيـاتـ الـبـنـيةـ السـطـحـيـةـ لـلـنـصـ مـمـثـلـةـ فـيـ الـمـسـتـوـيـ الـصـوـتـيـ وـالـمـعـجمـيـ وـالـتـرـكـيـيـ وـالـبـنـيةـ الـعـمـيقـةـ لـهـ<sup>(3)</sup>.

أـوـلـاـ- الـمـنـهـجـ الـأـوـلـ: وـيـسـجـلـ أـنـ التـحلـيلـ فـيـ يـمـثـلـ أـحـدـ الـمـسـتـوـيـاتـ الـثـلـاثـةـ<sup>(4)</sup>ـ مـنـ التـحلـيلـ . وـهـوـ التـحلـيلـ الـبـنـويـ الدـاخـليـ الـمـحـايـثـ<sup>(5)</sup>ـ، حـيـثـ إـنـهـ مـسـتـوـيـ مـادـيـ مـوـضـوعـيـ

يحل النتاج الرمزي الأدبي من داخل البنى التي يتتألف منها، باحثاً عن العناصر المكونة له، المنظمة واللافتة للنظر بتكرارها أو بتماثلها أو بتضادها<sup>(6)</sup> . لأن قراءة النص الإبداعي في ضوء اللسانيات البنوية تقود إلى اعتبار النص الأدبي نظاماً قائماً بذاته، تحكم فيه قوانين العلائق التي تقيمه عناصره وبنياته مع بعضها بعضاً

(7). ويرجع ذلك إلى أن البنوية تنظر إلى اللغة على أنها بنية مغلقة، وأنها تنظيم يتألف من مجموعة وسائل التعبير الصوتية التي هي رموز تعبر بها اللغة عن مفاهيم معينة، يتحسسها المتكلم. فكل لغة تتتألف من بني تتفرد بها وتميزها عن سواها<sup>(8)</sup> . لأن البنويين الوصفيين يعولون على البنية السطحية، آخذين بفكرة المستويات التي استقر عليها المفهوم البنوي أو الوصفي في دراسة اللغة<sup>(9)</sup> . ويهدف تحليل هذه المستويات وتفكيك مكوناتها إلى رصد الظواهر الطاغية، وكذا إبراز العلائق الترابطية التي تشمل جوانب شتى، لعل أهمها فاعلية الحدث بين "الأنا والآخر والهو"، والحقول الدلالية الدائنة انتشارها، وأقطاب الصراع الدرامي التواصلي، والإيقاع الداخلي والخارجي الصوتي منه والموسيقي، ووظائف الخطاب من نحو الثبات والتحول، والتناص والتشاكل، والثنائيات الضدية وسوى ذلك<sup>(10)</sup>.

ولعل أهم ما يؤخذ على هذا النقد البنوي الوصفي المحضر هو اكتفاءه بالتحليل الأفقي للنص الإبداعي بوصفه نظاماً لغوياً مغلقاً يكتفى فيه بالبنية السطحية التي تكون فيها الدوال على أقدار المدلولات؛ حيث إنه يقف بالنص الأدبي عند عتبة البنية اللغوية الظاهرة ممثلة في الصيغ والتركيب الموظفة فيه دون تجاوزها إلى البنية العميقة التي تعود على الأنظمة الخارجية الأخرى من مثل المرجعيات الثقافية والاجتماعية والسياسية والإيديولوجية التي ينتمي إليها النص، وكذا الظروف والملابسات المحيطة به، ذلك أن النص الأدبي نتاج لشخص أو أشخاص عند نقطة ما من التاريخ الإنساني، نسج في صورة معينة من الخطاب تستمد معانيها من الإيماءات التأويلية لأفراد القراء الذين يستعملون الشفرات النحوية والدلالية والثقافية المتاحة لهم<sup>(11)</sup> لفك منغفات هذا النص.

و قبل أن نعرض للمنهج الثاني نلفت الانتباه إلى أن التحليل السيميائي لما كان يبدأ من

المستوى الأفقي الذي وقف عنده التحليل اللسانـيـاتـي البنـويـ الـوـصـفيـ ليـدـخـلـ فيـ مرـحـلةـ تـفسـيرـ المـعـطـيـاتـ وـتـأـوـيلـ العـلـاقـهـ التـرـابـطـيـ بـيـنـ الدـلـالـاتـ المـنـطـوـيـهـ عـلـيـهاـ بـيـنـاتـ النـصـ الإـبـاعـيـ كانـ طـبـيعـيـاـ أـنـ تـأـتـيـ هـذـهـ التـفـسـيرـاتـ وـتـأـوـيلـاتـ التـيـ يـقـدـمـهاـ مـخـلـفـةـ باـخـلـافـ السـيـمـيـائـيـاتـيـ (12)ـ أـوـ القـارـئـ لـيـكـونـ بـذـلـكـ كـلـ سـيـمـيـائـيـاتـيـ وـكـلـ قـارـئـ مـبـدـعـاـ ثـانـياـ لـنـصـ أـدـبـيـ ثـانـ.

يـؤـيدـ ذـلـكـ قولـ "ـلـرـولـانـ بـارـثـ"ـ مـؤـدـاهـ "ـأـنـ القـارـئـ أـوـ النـاـقـدـ لـيـسـ مـسـتـهـلـكـاـ لـنـصـ فـحـسـبـ،ـ بـلـ هوـ مـنـتـجـ لـهـ أـيـضاـ.ـ وـهـوـ مـجـمـوعـةـ مـنـ النـصـوصـ الـأـخـرـىـ الـذـاتـيـةـ وـالـمـوـضـوـعـيـةـ (13)ـ.ـ وـلـيـسـ يـعـنـيـ ذـلـكـ أـنـ هـذـهـ التـأـوـيلـاتـ أـوـ تـالـكـ التـفـسـيرـاتـ عـائـمـةـ مـفـتوـحـةـ لـأـضـابـطـ لـهـاـ غـارـقـةـ فـيـ الـذـاتـيـةـ.

وـإـذـ كـانـتـ الـلـسـانـيـاتـ تـتـخـذـ الـلـغـاتـ الـطـبـيـعـيـةـ مـوـضـوـعـاـ لـهـاـ،ـ فـإـنـ السـيـمـيـائـيـاتـ تـتـجـاـزـ

هـذـاـ مـجـالـ إـلـىـ درـاسـةـ مـخـلـفـ العـلـامـاتـ دـاـخـلـ الـحـقـلـ الـاجـتمـاعـيـ (14)ـ إـذـ إـنـهــ أـيـ السـيـمـيـائـيـاتــ "ـالـعـلـمـ الـعـامـ الـذـيـ يـدـرـسـ الرـمـوزـ الـلـغـوـيـةـ وـغـيـرـ الـلـغـوـيـةـ الـتـيـ بـفـضـلـهـاـ يـتـمـ التـوـاـصـلـ بـيـنـ الـبـشـرـ"ـ.ـ وـهـذـهـ الـعـلـامـاتـ غـيـرـ الـلـغـوـيـةـ ذاتـ طـابـعـ وـظـيفـيـ تـقـدـمـ خـدـمـةـ جـلـىـ لـعـلـمـيـةـ التـوـاـصـلـ.ـ وـتـظـهـرـ عـلـاقـةـ السـيـمـيـائـيـاتـ بـالـلـسـانـيـاتـ فـيـ عـلـاقـةـ التـفـسـيرـ بـتـعبـيرـ "ـبـنـفـيـنـسـتـ"ـ.ـ فـانـطـلـاقـاـ مـنـ قـرـةـ نـظـامـ مـاـ عـلـىـ تـفـسـيرـ نـفـسـهـ وـغـيـرـهـ أـوـ عـجـزـهـ عـنـ ذـلـكـ يـمـكـنـ تـنـظـيمـ الـأـنـظـمـةـ السـيـمـيـائـيـةـ إـلـىـ مـسـتـوـيـيـنـ:ـ مـسـتـوـيـ الـأـنـظـمـةـ الـتـيـ تـعـزـزـ عـنـ تـفـسـيرـ نـفـسـهـاـ بـنـفـسـهـاـ وـتـرـاهـاـ فـيـ حـاجـةـ مـسـيـسـةـ إـلـىـ وـسـائـطـ سـيـمـيـائـيـةـ أـخـرـىـ مـثـلـ الصـورـةـ وـالـرـمـزـ وـالـلـوـنـ.ـ وـمـسـتـوـيـ الـأـنـظـمـةـ الـقـادـرـةـ عـلـىـ تـفـسـيرـ نـفـسـهـاـ وـغـيـرـهـاـ،ـ وـهـوـ النـظـامـ الـلـغـوـيـ.ـ وـفـيـ ذـلـكـ يـقـولـ "ـتـوـدـورـوفـ"ـ:ـ "ـعـلـىـ الـأـقـلـ هـنـاكـ مـسـأـلـةـ أـكـيـدـةـ وـهـيـ أـنـ أـيـ سـيـمـيـولـوـجـيـاـ لـلـصـوـتـ أـوـ الـلـوـنـ أـوـ الـصـوـرـةـ لـأـيـمـكـنـ أـنـ تـصـفـ الـأـصـوـاتـ أـوـ الـلـوـنـ أـوـ الـصـوـرـ،ـ بـلـ لـاـ بـدـ لـهـاـ أـنـ تـسـتـعـيـرـ تـرـجـمانـ الـلـغـةــ وـاسـطـةـ ضـرـورـيـةــ.ـ وـبـالـتـالـيـ فـإـنـ وـجـودـهـاـ مـتـعـذـرـ إـلـاـ بـوـاسـطـةـ سـيـمـيـولـوـجـيـاـ الـلـغـةــ (15)ـ.

فالـدوـالـ غـيـرـ الـلـغـوـيـةـ الـمـاصـحـبـةـ الـعـلـامـاتـ الـلـغـوـيـةـ وـالـمـسـتـغـنـيـةـ بـنـفـسـهـاـ عـنـهـاـ أـحـيـاناـ أـخـرـىـ.ـ تـعدـ مـنـ قـبـيلـ الـاتـصالـ وـبـخـاصـةـ فـيـ الـعـلـمـ الـمـسـرـحـيـ مـنـ مـلـكـ الـتـنـاؤـبـ الـذـيـ بـنـيـتـهـ

العميقـة تتبيـه الجليس على ضرورة تغيـير موضوع التـحادـث، والـقـرع على الرـكـبة الدـالـ على السـأـم، ووضـع الـيـد على الجـبـين التي يمكن أن تكون بنـيـتها العمـيقـة "رأـسي بـؤـلـمنـي"، وتـقـليـب الـكـفـين الـذـي بنـيـته الـبـاطـنـية "إـظـهـار الـحـسـرـة وـالـنـدـم" ، والـابـتـاعـد عن تـجـمـع الأـصـدـقاء الـحـاـمـل الـدـالـة على الـاحـتـاجـ(16). هذه العـلامـات غـيرـ اللغـوـية عند "أنـدي ماـرـتنـيـه" في نـظـريـة التـمـفـصـل لـلـوـحدـات الدـالـةـ هي كلـ رـمـز سـيـمـيـائـيـ غيرـ قـابـل لـلـتـقـطـيع المـزـدـوجـ على خـالـف الرـمـزـ اللـغـوـيـ(17). وفي الـاتـصال المـسـرـحيـ استـطـاعـ "تاـدـيوـز كـاـواـزانـ" Kawazanـ Tـ أنـ يـصـنـفـ ثـلـاثـة عـشـرـ نـسـقاـ يـعـملـ مـعـاـ فيـ المـسـرـحـ كـتـغـيـرـ الـوـجـهـ ، وـالـإـيمـاءـةـ ، وـالـحـرـكـةـ(18)ـ وـالـتـغـيـمـ الـذـي يـسـمـيهـ بـعـضـهـمـ" عـنـصـرـ التـحـوـيلـ؟ـ فـالـاسـتـقـهـامـ مـعـنـىـ منـ الـمـعـانـىـ يـؤـدـيـ بـالـأـدـاءـ وـبـالـفـعـلـ وـبـالـتـغـيـمـ، وـهـوـ عـنـصـرـ غـيرـ لـغـوـيـ. وـنـقـفـ عـلـىـ نـمـوذـجـ لـهـذاـ الدـالـ غـيرـ اللـغـوـيـ فـيـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ:ـ (ـوـإـذـاـ اـبـنـىـ إـبـرـاهـيمـ رـبـهـ بـكـلـمـاتـ فـأـتـمـهـنـ قـالـ إـنـيـ جـاعـلـكـ لـلـنـاسـ إـمـامـاـ قـالـ وـمـنـ ذـرـيـتـيـ قـالـ لـاـ يـنـالـ عـهـدـيـ الـظـالـمـينــ)ـ (ـبـقـرـةـ/ـ12ـ3ـ).ـ إـذـ إـنـ مـعـنـىـ الـاسـتـقـهـامـ يـعـتمـدـ عـلـىـ النـغـمةـ الصـوـتـيـةــ وـمـنـ ذـرـيـتـيـ الـتـيـ تـنـوبـ فـيـ الـكـتـابـةـ عـنـ نـقـطـةـ الـاسـتـقـهـامـ.ـ ذـلـكـ أـنـهـ يـدـخـلـ عـلـىـ الـجـمـلةـ التـولـيدـيـةـ وـالـتـحـوـيلـيـةـ فـيـنـقـلـهـاـ،ـ مـعـنـىـ إـلـىـ مـعـنـىـ.ـ فـفـيـ قـوـلـ الشـاعـرـ:

والعين تبدي الذي في نفس صاحبها  
من المحبة أو بغض إذا كانا  
حتى ترى من ضمير القلب  
والعين تنطق والأفواه صامتة  
نيانا

نـجـدـ فـيـ هـذـيـنـ الـبـيـتـيـنـ بـرـهـنـةـ عـلـىـ أـنـ الإـشـارـةـ غـيرـ اللـغـوـيـ تـجـمـعـ فـيـ الدـالـةـ بـيـنـ الشـيـءـ وـضـدـهـ.ـ فـكـمـاـ تـدـلـ عـلـىـ المـحـبـةـ تـجـسـدـ الـبـغـضـ وـالـكـراـهـيـةـ لـتـكـونـ بـذـلـكـ مـبـيـنةـ كـسـائـرـ وـسـائـلـ الـبـيـانـ ،ـ بـلـ هـيـ أـقـدرـ عـلـىـ الـبـوحـ مـنـ الـلـفـظـةـ.ـ لـذـاـ تـنـقـدـمـ الصـوتـ.ـ يـؤـيدـ ذـلـكـ قـوـلـ للـجـاحـظـ مـفـادـهـ:ـ "ـوـمـبـلـغـ الإـشـارـةـ أـبـعـدـ مـنـ مـبـلـغـ الصـوتـ وـلـهـذـاـ فـهـيـ تـنـوبـ عـنـ الـلـفـظـ وـتـغـيـيـ عنـ الـخـطــ(19).ـ وـيـعـزـزـ ذـلـكـ قـوـلـ لـهـبـجـلـ فـحـواـهـ:ـ حـتـىـ الدـمـوعـ عـلـىـ الـأـحـزـانـ أـعـوـانـ وـحـتـىـ رـمـوزـهـاـ فـهـيـ لـلـشـجـنـ سـلوـانـ.ـ لـأـنـ الـإـنـسـانـ إـذـ كـظـمـ الـحـزـنـ نـلـمـسـ مـظـهـراـ لـذـلـكـ الـأـلـمـ الـبـاطـنــ".ـ

ويقول الإمام علي: "ما أضمر أحد شيئاً قط إلا ظهر في فلتات لسانه أو أسارير وجهه". ومن الأهمية بمكان أن نلتفت الانتباه إلى أن البنية العميقة للعلامة غير اللغوية متعددة ولكنها متاهية ضمن دائرة معينة تحدها الظروف والملابسات المحيطة بها. فالابتسامة ليست ثابتة الدلالة تدل على السرور والرضا. والدمعة ليست قارة المدلول تأتي دوماً للتعبير عن الحزن والأسى.

#### المنهج الثاني:

ثمة اتجاه سيميائي ثان يذهب إلى أن السيميائيات هي دراسة الأنظمة الدالة، ولكن من خلال الوقوف على المرجعيات المقصادة من قبل البنوية الوصفية ممثلة في الظواهر الاجتماعية و الثقافية الملابسة للنص الإبداعي موضوع التحليل. و هذا الاتجاه يحاول جهد أيمانه تجاوز التحليل النبوي السطحي المحايث المعمول على البنية السطحية و حدها، عacula أصحابه العزم على تناول معطيات البنية العميقة المستثمرة كل الأنظمة الدالة المنطوي عليها النتاج الإبداعي، مقتفياً أثر كل العلامات السيميائية الموظفة فيه لاستكناه المعاني المسكوت عنها. سواء أكانت هذه العلامات لغوية أم غير لغوية.

و قد حبذ هذا الاتجاه كثير من النقاد و الدارسين. من بينهم رولان بارت R.Barthe و بيير جирه P.Guirand و غريماس GREIMAS و كورتيس Courtes و محمد عزام و رشيد بن مالك و عبد الكبير الخطيبi (20) . و قد ركز هؤلاء في أعمالهم على تطبيق مفاهيم اللسانيات في شكلها النبوي ووجهتها الدلالية الموصولة بالحياة الاجتماعية للأفراد و الجماعات. و أساس ذلك أن النص الإبداعي ليس نتاجاً ، و إنما هو إشارة إلى شيء يقع وراءه لتصبح مهمة الناقد استكناه هذه الإشارة، و استكشف حدودها و تأويلها و خاصة الحد الخفي ممثلاً في بنيتها العميقة (21) بغية استكناه المعنى العميق و هذا المنحى ينطلق من دراسة الرموز المنظمة في عملية التواصل المقصود، كما ينطلق من مؤشرات عديدة لا واعية و غير مقصود يمكن أن تشي بدلالات عميقة يتجلّى فيها المعنى العميق للنص. لأن العمل الأدبي ينحرف باللغة الاصطلاحية التواصلية إلى تلاوين من التعبير و مضامين لا تدرك إلا بمشاركة عميقة من قبل المتنقى الذي ينبغي لتجربته الذاتية أن تتقاطع مع تجربة المبدع نفسه (22).

استكناه المعنى العميق يكون بفك منغفات الدول اللغوية و الدول غير اللغوية؛ ذلك أن الدول غير اللغوية بنائها العميقـة متعددة. فالابنـاسـامـة بنـائـها العمـيقـة تـخـلـف من سـيـاق إـلـى سـيـاق آخر و كذلك البـكـاء. ويمكن عـدـ كتاب " طـوقـ الحـمـامـة " لـابـنـ حـزمـ الأـنـدـلـسـيـ نـموـذـجاـ حـيـاـ فـيـ التـرـاثـ العـرـبـيـ وـ لاـ سـيـماـ فـيـ جـانـبـهـ غـيرـ الـلغـوـيـ المـوـظـفـ العـلـامـاتـ غـيرـ الـلغـوـيـةـ التيـ تـبـيـنـ بـنـيـاتـهاـ العمـيقـةـ أـنـهـ مـنـوـطـةـ بـالـحـبـ،ـ مـنـ مـثـلـ النـظـرـاتـ وـ تـحـرـكـاتـ الـحـبـبـ الـبـاحـثـةـ عنـ قـرـبـ الـحـبـبـ،ـ وـ مـيـلـانـهـ حـيـثـ يـمـيلـ،ـ وـ إـنـصـاتـ لـهـ وـ اـسـتـغـرـابـ كـلـ مـاـ يـأـتـيـ بـهـ وـ كـأـنـهـ مـحـالـ،ـ وـ الـتـبـاطـؤـ فـيـ الـمـشـيـ لـدـىـ مـفـارـقـتـهـ الـمـكـانـ الـذـيـ حلـ بـهـ وـ وـسـوـىـ ذـلـكـ مـنـ عـلـامـاتـ غـيرـ لـغـوـيـةـ بـلـيـغـةـ تـمـيـزـ السـلـوكـ العـرـبـيـ فـيـ الـحـبـ (23)ـ لأنـ السـمـيـائـيـاتـ تـهـمـ بـمـوـضـعـ بـنـاءـ الـخـطـابـاتـ وـ الـنـصـوصـ وـ تـنـظـيمـهـاـ وـ إـنـتـاجـهـاـ أـوـ بـالـقـدـرـةـ الـخـطـابـيـةـ .ـ وـ تـبـعـاـ لـهـذـهـ الـخـصـيـصـةـ تـوـصـفـ السـمـيـائـيـاتـ بـأـنـهـاـ نـصـيـةـ (24)ـ .ـ فـالـنـاقـدـ أـوـ الـمـنـلـقـيـ بـنـطـلـقـ فـيـ تـحـلـيلـهـ الـمـعـطـىـ الـفـنـيـ مـنـ فـعـلـ الـنـتـاجـ السـمـيـائـيـاتـيـ فـيـهـ حـيـنـ تـفـاعـلـهـ مـعـ بـنـيـاتـهـ الـلـافـتـةـ.ـ فـيـعـيدـ تـأـلـيفـهـ لـفـهـمـهـ وـ اـسـتـجـلـاءـ مـعـنـاهـ اـنـطـلـقاـ مـنـ بـعـضـ الـعـنـاصـرـ الـمـكـوـنـةـ لـهـ،ـ أـوـ بـعـضـ الـمـؤـثـرـاتـ الـتـيـ فـعـلتـ فـيـ مـبـدـعـهـ نـفـسـهـ (25)ـ سـوـاءـ أـكـانـتـ هـذـهـ الـعـنـاصـرـ لـغـوـيـةـ أـمـ غـيرـ لـغـوـيـةـ،ـ ذـلـكـ أـنـ كـثـيرـاـ مـاـ تـكـشـفـ لـنـاـ اـسـتـراتـيـجيـاتـ الـتـالـقـيـ وـ مـوـاطـنـ الـتـأـثـيرـ فـيـهـ مـمـيـزـاتـ عـمـلـ فـنـيـ مـاـ.ـ فـكـمـ مـنـ عـمـلـ فـنـيـ لـوـ لمـ يـتـهـيـأـ لـهـ مـنـ يـكـشـفـ الـغـطـاءـ عـنـ وـجـوهـ جـديـدةـ مـنـ التـقـاعـلـ معـهـ.ـ مـنـ خـلـالـ الـاتـكـاءـ عـلـىـ بـنـيـاتـ الـبـاطـنـيـةـ الـتـيـ تـجـعـلـ التـعـاـمـلـ معـهـ عـلـىـ مـسـتـوـىـ مـادـتـهـ الـدـاخـلـيـةـ وـ عـلـىـ مـسـتـوـىـ ظـرـوفـ حـيـاتـهـ.ـ لـوـ لـمـ تـتـضـافـرـ لـهـ كـلـ هـذـهـ الـمـعـطـيـاتـ لـأـسـئـةـ إـلـىـ فـهـمـهـ وـ لـأـوـذـيـ مـبـدـعـهـ.ـ فـالـأـلـيـاتـ الـتـيـ يـقـولـ فـيـهـاـ الشـاعـرـ :

أسائله عن ثمود و عاد  
و هل إرم هي ذات العـمـاد  
و قال الجـرـائـز دون عـنـاد  
ترى، كـيـفـ يـكـونـ الفـهـمـ السـلـيمـ لـهـاـ لوـ لمـ نـعـرـفـ أـنـ قـائـلـهـاـ هوـ مـفـدـيـ زـكـرـيـاـ، وـ أـنـهـ ماـ  
قالـهـاـ تحـالـماـ عـلـىـ الـقـرـآنـ؟ـ.

أـلـاـ تـكـوـنـ شـطـحةـ الشـاعـرـ هـاـوـيـاـ بـهـ فـيـ النـارـ سـبـعـينـ خـرـيفـاـ؟ـ.  
وـ الـاتـكـاءـ عـلـىـ الـبـنـيـةـ الـعـمـيقـةـ لـاـ يـعـنـيـ التـشـجـيـعـ عـلـىـ الـاـنـطـبـاعـيـةـ بـقـدـرـ ماـ يـعـنـيـ الـإـلـاحـاحـ  
عـلـىـ دـمـ إـغـالـهـاـ وـ الـعـمـلـ عـلـىـ تـصـنـيـفـهـاـ وـ رـصـدـهـاـ وـ تـقـسـيـرـهـاـ، وـ ذـلـكـ بـرـبـطـهـاـ بـالـبـنـيـاتـ  
الـلـافـتـةـ فـيـ نـسـيـجـ النـصـ الإـبـدـاعـيـ، وـ الـعـمـلـ عـلـىـ إـضـفـاءـ الصـفـةـ الـمـوـضـوعـيـةـ عـلـيـهـاـ

(26) . بـفـضـلـ حـدـسـ النـاقـدـ وـ كـفـاـيـةـ الـلـغـوـيـ (Competence)ـ الـتـيـ تـقـودـ إـلـىـ  
تـحـلـيلـ الـبـنـيـاتـ الـعـمـيقـةـ لـهـاـ النـصـ وـ فـهـمـهـاـ وـ تـقـسـيـرـهـاـ، لـأـنـ لـلـبـنـيـاتـ الـظـاهـرـةـ الـمـنـجـزـةـ فـعـاـ

بـنـىـ عـمـيقـةـ يـتـحـتمـ وـ صـفـهـاـ لـفـهـمـ الـبـنـىـ السـطـحـيـةـ (28)ـ وـ هـوـ مـاـ يـجـعـلـ النـاقـدـ يـسـعـىـ إـلـىـ إـعادـةـ  
بـنـاءـ الـمـعـطـيـاتـ وـ فـكـ رـمـوزـهـاـ وـ شـفـرـاتـهـاـ، مـقـرـحاـ نـمـاذـجـ وـ تـعـلـيـلـاتـ وـ أـشـكـالـ اـجـتمـاعـيـةـ  
تـتـمـثـلـ فـيـ تـعـيـنـ الـاـخـلـافـاتـ الـقـائـمـةـ بـيـنـ الـعـنـاـصـرـ، وـ تـحـدـيدـ الـحـيـزـ الـذـيـ يـسـتـنـدـ إـلـيـهـ  
الـاـخـلـافـ، وـ مـاـ يـتـمـ اـنـتـقاـءـهـ مـنـ قـيـمـةـ الـعـنـاـصـرـ الـخـلـافـيـةـ، وـ صـوـلاـ إـلـىـ اـسـتـكـنـاهـ دـلـالـاتـهاـ  
(29). وـ لـمـ كـانـ الـمـعـنـىـ الدـلـالـيـ يـؤـطـرـهـ جـانـبـاـ:ـ المـقـامـ (30)ـ (ـسـيـاقـ الـحـالـ)ـ (31)،

وـ الـمـقـالـ وـ هـوـ (ـ السـيـاقـ الـلـغـوـيـ)ـ (32)ـ فـإـنـهـ "ـيـنـبـغـيـ لـلـمـتـكـلـ أـنـ يـعـرـفـ أـقـدارـ الـمـعـانـيـ وـ  
يـواـزنـ بـيـنـهـاـ وـ بـيـنـ أـقـدارـ الـمـسـتـمـعـيـنـ وـ بـيـنـ أـقـدارـ الـحـالـاتـ فـيـجـعـلـ، لـكـلـ طـبـقـةـ مـنـ ذـلـكـ كـلـامـاـ  
، وـ لـكـلـ حـالـةـ مـنـ ذـلـكـ مـقـامـاـ حـتـىـ يـقـسـمـ أـقـدارـ الـكـلـامـ عـلـىـ أـقـدارـ الـمـقـامـاتـ وـ أـقـدارـ  
الـمـسـتـمـعـيـنـ عـلـىـ أـقـدارـ ذـلـكـ الـحـالـاتـ"ـ (33)ـ وـ يـدـخـلـ فـيـ دـائـرـةـ الـعـلـمـةـ السـيـمـيـاـئـيـةـ كـلـ مـنـ  
الـقـرـيـنةـ وـ الرـمـزـ وـ السـمـةـ وـ هـيـ كـلـهـاـ تـحـلـلـ إـلـىـ عـلـاقـةـ بـيـنـ طـرـفـيـنـ

(ـ مـرـسـلـ وـ مـرـسـلـ إـلـيـهـ)ـ فـيـ شـكـلـ تـنـظـيمـ صـورـيـ لـلـمـحتـوىـ فـيـمـاـ بـيـنـ الـمـدـلـولاتـ  
(34)ـ وـ أـمـامـ هـذـهـ الـمـعـطـيـاتـ يـتـمـ تـوـافـقـ بـيـنـ أـشـكـالـ التـلـقـيـ مـنـ حـيـثـ الـمـحـمـولـاتـ الـإـشـارـيـةـ  
وـ تـعـدـ الـقـرـاءـاتـ وـفـقـ اـسـتـكـنـاهـ الـمـعـانـيـ الـمـصـاحـبـةـ ذـلـكـ الـإـشـارـاتـ.

و نلقت الانتباه إلى إن تلك المعاني لا تستمد من المعاجم يقدر ما يستطع من السابق واللاحق والمشاكل والمتناقض، والمتناقض وغيرها من المظاهر التي ترخر بها وحدات النص المنشود. و منه فإننا حين تحليل النص تحليلًا سيميائيًا ينبغي لنا أن لا نفصل بين ما هو لسانياتي أو اجتماعي ؛ إذ هو كل متصافر شبيه بعده مفتوحة على كل المراجعات القراءات على نحو يصبح فيه هذا النص الإبداعي مثل هويات الاستقبال، ترد عليها برامج شتى المحطات يتوجب على المتلقى أو الناقد القيام بغربلتها و تحليل رسائلها وصولاً إلى تفسير محمولاتها و فك شفراتها بعد استطاق النص الذي هو ذلك المداد الموزع على الورقة<sup>(35)</sup>، بتخمير كل وسائل التلقى من إدراك و فهم و تأويل ليكون هذا الاتجاه متقطعاً، بل متكاملاً مع النصانية من حيث استثماره وسائل التحليل المختلفة<sup>(36)</sup>، و الدراسات اللسانية الحديثة على الرغم من تعدد مناهجها و اتجاهاتها، فإنها جميعاً تهدف إلى دراسة النص للوقوف على محتوياته و أبعاده و مراميه<sup>(37)</sup>. و الاعتراف بلزمومية الأدب لا يعني انغلاقه و الإقرار بأحادية قراءته. و أساس ذلك أن الآخر الجيد يتيح إمكانية اختراقه من جميع الاتجاهات، لأنه مفتوح على مختلف الرياح<sup>(38)</sup>. و القراءة لا يمكنها أن تقودنا إلى الإمساك بحقيقة كلية لكونها مساراً ضمن

مسارات مختلفة تظل مشرعة<sup>(39)</sup> و اللافت للانتباه أن مرجعية الاتجاه السيميائي الذي يعود على البنية العميقة حين تحليله النصوص الإبداعية لا نهاية، فهي لسانية، فلسفية، اجتماعية، دينية، سياسية، نفسية...الخ. ذلك أنه لئن كان يستمد مفاهيمه النقدية من مرجعية و مدارس اللسانيات البنوية، فإنه يتجاوزها من حيث العمق في استطاق علامات الفضاء الخارجي لهذا النص الذي يعد نصاً تداولياً بغية إيجاد تأويلات لها. سندنا في ذلك قول "جوليا كريستيفا" الذي جاء فيه: "إن النص ليس نظاماً لغوياً، أو كما يرغب التشكيليون الروس، وإنما هو عدسة مفتوحة<sup>(40)</sup> لمعانٍ و دلالات متغيرة و متباينة و معقدة في إطار أنظمة اجتماعية و دينية و سياسية سائدة"<sup>(41)</sup> و أساس ذلك أن النص نوعان: نص ظاهر ممثلاً في البنية التي هي موضوع البنوية، و نص تواليي ، و هو النص المحلل عبر محوريين: محور أفقى تدرس فيه البنية السطحية للنص، و يدرس في

محوره العمودي البنية العميقـة له التي تسمح بكشف بعده التاريخي بما يحمله من قيم و معنـدات و ذوق و مشاعـر و أخـلاق.

و نخلص إلى أن المنهج السيمـائي يتعامل مع النصوص التي تكون لغتها مبدعة خالقة مجازية تجـاز و تعبـر، و تهـاجـر و ترـحل بين الدلالـات المختـلفـة. حيث من خلالـها يـسـتطـيع الأدبـاء إـبـادـاع عـوـالـم خـاصـة بـهـمـ. و يـتـرـتب على ذلك أن قـراءـة هـذـه النصـوص بـمـنظـور سـيمـائي هي قـراءـة متـدـدـدة و مـفـتـحة أـبـدا على القرـاءـة؛ إذ إن كل قـراءـة هي أـرضـية لـقـراءـة أـخـرى. و لا وجود لـنـص إـبـادـاعـي بـنـيـاتـه مـغـلـفة دـوـالـهـا على أـقـدـار مـدـلـوـلـاتـها.

#### الهوـامـش:

- (1) السـعـرانـ محمدـ: عـالـمـ الـلـغـةـ، مـقـدـمةـ القـارـئـ العـرـبـيـ، دـارـ النـهـضـةـ ، بـيـرـوـتـ، صـ207ـ.
- (2) منـ الجـديـرـ بـالـإـلـمـاعـ أـنـ استـثـمـارـ السـيمـيـائـيـاتـ فـيـ تـقـسيـرـ بـنـيـاتـ النـصـ الشـعـريـ أوـ السـرـديـ لـيـسـتـ بـجـديـدـةـ. فـقـدـ تـبـهـ العـرـبـ الـقـادـمـىـ إـلـىـ أـهـمـيـةـ الإـشـارـةـ وـ الـنـصـبـةـ وـ الرـمـزـ فـيـ أـنـظـمـةـ التـوـاـصـلـ. حيثـ إـنـهـ عـدـوـهـاـ ذاتـ وـظـيـفـةـ أـسـاسـيـةـ فـيـ اـسـكـنـاهـ النـصـ وـ تـأـوـيلـ دـلـالـاتـهـ الـمـسـكـوتـ عـنـهـ. إذـ يـقـولـ الجـاحـظـ: "الـإـشـارـةـ وـ الـلـفـظـ شـرـيكـانـ وـ نـعـمـ الـعـونـ هـيـ لـهـ، وـ نـعـمـ الـتـرـجمـانـ هـيـ عـنـهـ، وـ أـكـثـرـ ماـ تـنـوـبـ عـنـ الـلـفـظـ وـ تـغـنـيـ عـنـ الـخـطـ."ـالـجـاحـظـ: الـبـيـانـ وـ الـتـبـيـينـ، دـارـ الـفـكـرـ لـلـجـمـيعـ ، بـيـرـوـتـ، 1967ـ، 78/1ـ.
- (3) فـواـزـ حـجوـ: الـنـقـدـ وـ الـدـلـالـةـ نـحـوـ تـحـلـيلـ سـيمـيـائـيـ لـلـأـدـبـ، حـوارـ مـعـ مـحـمـدـ عـزـامـ، مـجـلـةـ الـبـيـانـ، الـكـوـيـتـ، الـعـدـدـ 385ـ، يـوـنـيـوـ 2002ـ، صـ72ـ.
- (4) وـ الـمـسـتـوـىـ الثـالـثـ هـوـ ذـلـكـ الـذـيـ يـنـطـلـقـ مـنـ درـاسـةـ عـلـاقـةـ الـمـنـتـجـ بـإـنـتـاجـهـ. وـ الـمـسـتـوـىـ الثـالـثـ يـنـطـلـقـ مـنـ فعلـ النـتـاجـ الإـبـادـاعـيـ فـيـ مـتـلـقـيهـ الـمـنـقـاعـلـ معـهـ.
- (5) JEAN Molino, pour une semiologie comme theorie des formes symboliques materiali , 15,1985,p5.
- (6)GREMAS ET COURTES, semiotique dictionnaire raisonné de la theoie de langages ED, HACHETTE, 1972,P18.
- (7) فـواـزـ حـجوـ: المرـجـعـ نـفـسـهـ، صـ72ـ.

- (8) ميشال زكرياء: مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط2/1985، ص 56، 57.
- (9) ينظر خليل حلمي: العربية وعلم اللغة البنيوي، ص 227.
- (10) ينظر جان كلود جبرو: السيميائية نظرية لتحليل الخطاب، ت، رشيد بالمالك، مجلة الحادثة، جامعة وهران، عدد 4، 1996، ص 213.
- (11) ينظر روبرت شيراز: السيمياء والتأويل، ترجمة سعيد العلمي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، عمان، 1994، ص 41.
- (12) السيميائيات نسبة إلى السيميائيات. فلا يقال عن الناقد المهتم بهذا المنهج سيميائي.
- (13) محمد عزام : النقد والدلالة نحو تحليل سيميائي للأدب، وزارة الثقافة، دمشق، 1996، ص 61.
- (14) ينظر محمد إقبال عروي: السيميائيات وتحليلها لظاهرة التراصف في اللغة، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت، المجلد 24، العدد 3، مارس 1996، ص 192.
- (15) George Molino, Introduction de la Semiologie, ED, PARIS, P11.
- (16) Todorov et DUCROT, dictionnaire encyclopédique du language, ed du seil 1972, P21.
- (17) ينظر د. رنيف كرم: السيمياء والتجريب المسرحي، عالم الفكر، العدد 3، مارس 1996، ص 240.
- (18) أند烈 مارتنبيه: مبادئ اللسانيات، ص 120.
- (19) ينظر د. رنيف كرم: المرجع نفسه، ص 239.
- (20) الجاحظ: البيان والتبيين، 80/1.
- (21) ينظر د. حلام الجيلاني: المنهج السيميائي وتحليل البنية العميقة للنص، الموقف الأدبي، السنة 31، العدد 365، 2001، ص 37، 38.
- (22) ينظر محمد عزام : المرجع نفسه، ص 42.
- (22) GEORGE M OLINO, la literature et ses technocraties, casterman, PARIS 1977, P177.

- (23) ينظر ابن حزم الأندلسي: طوق الحمامـة، دار الحياة ، بيـروت، 1992.
- (24) Group d,enterverces Analyse des texte ,P8
- (25) المرجع نفسه، ص.8
- (26) ينظر أنطوان طعمة: السيمبـولوجيا والأدب، عالم الفـكر، العدد3، 1996 ص.209.
- (27) ينظر عبد الحميد مصطفى السيد: بنية الجملـة العربية في ضوء المنهجين الوصـفي والتحـويلي، المجلـة العربية للعلوم الإنسـانية، الكويت، العدد75، السنة19، 2001، ص.51.
- (28) ينظر ميشـال زكريـاء: الألسـنية التـولـيدية والتـحـوـيلـية وقوـاعد اللغة العربية، ص.22، 1982.
- (29) ينظر جـان كـلود جـيـرو: المرجـع نفسه، ص.213.
- (30) ينظر عبد الحميد مصطفى السيد، المرجـع نفسه، ص.75.
- (31) ويـشمل السـيـاق العـاطـفـي وـالـسـيـاق الـقـافـي.
- (32) تمام حـسان: اللغة العربية معـناها وـمـبنـاهـا، ص.372..
- (33) الجـاحـظ: البـين وـالـتـبـيـن، 138/1.
- (34) يـنظر روـلان بـارـث: مـبـادـئ عـلـم الأـدـلـة، تـرـجمـة محمد البـكـري، دـارـ الـحـوارـ، الـلـانـقـيـةـ، 1990، ص.66.
- (35) يـنظر محمد مـفتـاح: تـحلـيل الخطـاب الشـعـريـ، استـراتـيجـية التـناـصـ، مرـكـزـ التعاونـ العـربـيـ، بيـروـتـ ، 1980ـ، ص.110ـ، 111ـ.
- (36) يـنظر سـعـيد حـسـين بـحـيرـيـ: عـالـم لـغـة النـصـ، مـكـتبـة لـبـنـاـ، نـاـشـرـوـنـ، بيـروـتـ، 1997ـ، ص.33ـ.
- (37) يـنظر تمام حـسانـ: منـاهـج الـبـحـثـ فـيـ الـلـغـةـ، ص.286ـ.
- (38) يـنظر هـشـام الـعـلـويـ : النـقـدـ المـوضـوعـاتـيـ، مـجـلـةـ الـبـيـانـ، الـكـوـيـتـ، العـدـدـ383ـ، يـونـيوـ 2002ـ ، ص.31ـ.
- (39) لـحمدـانـيـ حـمـيدـ: سـحـرـ المـوضـوعـ، منـشـورـاتـ الـدـرـاسـاتـ سـالـ ، ص.23ـ.

(40) شبه النص الإبداعي بالعدسة المقعرة لأن العدسة المقعرة فيزيائيا تعمل على تثبيت الأشعة وتوسيع الرؤية على عكس العدسة المحدبة أو اللامسة التي تعمل على تجميع الأشعة في بؤرة واحدة.

(41) ينظر فؤاد منصور حوار مع جوليا كريستوفا، مجلة الفكر العربي بيروت، العدد 18، 1982، ص 122.